

# الفصل الخامس:

## المتنخفة

### عن الانتقال

### والمخططات

### والوكر السري

مضى وقت طويل وبي ناريا تغالب ألامها وهي في الغرفة الساكنة.. اختفى الآخرا ن ولم تجد لهما صوتاً في المكان مما أصابها بتوجس.. وبعد أن يئست من الانتظار رأت الرجل الذي أنقذها يذلف الغرفة مع آخر يرتدي عوينات دائرية ووجهه ليس خشناً كوجوه بقية من رأتهم، يبدو متوتراً وقلقاً وهو يقول "أنت متأكد أن الجنود لم يلمحونا؟ لا أريد أن أفاجأ بهجومهم علينا ليقبضوا عليّ معكم"

قال الرجل الأول بابتسامة "لا تخش شيئاً.. المكان آمن في هذه اللحظة.. عالجها بسرعة كي نعيدك إلى منزلك وتهداً نفسك"

أقرب الرجل الذي أدركت أنه الطبيب يتفحص ساقها المكسورة، وبي ناريا تلاحظ أن الآخر لم يغادر الغرفة وهو يقف قرب الباب يراقبهما.. وكأنه يتأمل ما يحدث باستمتاع.. فأشاحت ببصرها عنه محنقة وهي تكظم ألمها وغيظها طوال المدة التي قضاها الطبيب في علاجها.. ولما انتهى وجدت بي ناريا أن ساقها قد غطتها مادة صفراء يابسة كأنها الصخر والطبيب يقول "يجب أن تبقى هكذا حتى تلتحم عظامها.. سأتي كل يوم لإعطائها مسكناً عن الألم ولأتفحص ما حدث لساقها.."

سألته بي ناريا بقلق "أأنت واثق أنها ستصبح بخير؟ كيف تكون متأكد من علاجك دون أن تفحصها بأجهزة متخصصة؟"

قال الطبيب "هذا هو كل ما بوسعي فعله.. الذهاب للمستشفى مستحيل.."

فقال الرجل الأول "سنغادر قريباً إلى المكان المعهود.. وسأتي لأخذك هناك كل يوم"

صمت الطبيب متوتراً وهو يجمع عدته بعد أن حقن بي ناريا بمسكن للألم، ثم غادر متمتماً "تذكر ألا تأت إليّ إلا في جنح الظلام.."

غادر الطبيب مع الرجل بصمت تاركين بي ناريا جالسة وهي لا تجرؤ حتى على الاستلقاء في سريرها في هذا المكان الغريب رغم تعب جسدها.. لم تكن قد اطمأنت بعد إلى هؤلاء الرجال وهي حتى لا تعرف أسماءهم.. وتصرفاتهم تبدو لها غامضة مريبة.. ماذا يريدون حقاً منها؟

عندما أشرق الشمس في اليوم التالي، دلف الرجل إلى الغرفة ليجد بي ناريا جالسة في سريرها تنظر من النافذة التي سمحت لنور الشمس بالتغلغل في الغرفة الباردة.. ولم تنتبه لقدمه حتى سمعته يقول "أمازلت مستيقظة؟ ظننتك قد نمت.."

قالت ببرود دون أن تنظر إلى وجهه "ما من شخص عاقل يستسلم للنوم في معقل أشخاص لا يعلم إن كانوا أعداء أم أصدقاءه"

فقال وهو يرخي الستائر على النافذة حاجباً النور والأعين "أعلم أن الجنود يبحثون عنك، وأن مانيم الوغد قد جند الجميع للعثور عليك.. لكن أن تعتقدي أن الجميع يعادونك لمجرد أنك أنت؟.. هذه مبالغة كبرى أن تجعلني لنفسك هذه الأهمية.."

قالت بغیظ لم تستطع السيطرة عليه "من تظن نفسك لتخاطبني بهذه الطريقة؟"

قال هازاً كتفيه "أنا هو أنا.. لست أظن نفسي شيئاً أكبر مما هي عليه.. لكن السؤال هو من أنت حقاً؟ لماذا تتصرفين بهذه الطريقة المتعالية دائماً؟ وما الذي يغري مانيم بمطاردتك بهذه الصورة؟ لا أعتقد أن دوافعه هي الإعجاب فقط.."

زفرت بي ناريا بحق وهي تقول "كونك قد أنقذت حياتي لا يجعلني مدينة لك بأي شيء.. أنا لم أطلب منك فعل ذلك، ولست مجبرة للإجابة عن أي أسئلة"

فقال "مادمت تعترفين أنني أنقذت حياتك.. فأقل ما تفعلينه هو الشكر.. أليس كذلك؟"

أشاحت بوجهها وهي تزفر صامتة، فضحك بسخرية وهو يقول "لم أتوقع أقل من هذا.."

وغادر الغرفة قائلاً "سنبقى هنا لهذا اليوم.. والليلة، سنهرب مستغلين الظلام إلى الوكر.. عندها سيتضح كل شيء"

لم تعقب بي ناريا بكلمة وهي تقبض على يديها بشدة.. الوكر؟ سمعت هذه الكلمة كثيراً.. ما الذي يعنيه بها؟ وكر من؟ ولم صنع؟ هل من الملائم لها أن تصمت على ما يخطئه لها؟ أم الأسلم أن تهرب منه قبل أن تكتشف أنها كانت مغفلة للاطمئنان إليه؟.. لكن كيف؟ لازالت ساقها تؤلمها، ولا يمكنها الهرب بجبيرتها أبداً.. كما أن حالتها لا تسمح لها بالهرب من الجنود إن اكتشفوا وجودها.. إذن هي مجبرة على الاستسلام لهؤلاء الرجال، وهم كما يبدو لا يلاحقون عنقها مهددين بالقتل.. هو استسلام مؤقت، حتى تكتشف نواياهم، وحتى تصبح في حال قادرة على الهرب..

\*\*\*\*\*

ظلت بي ناريا طوال النهار وحيدة في غرفتها، لا ترى أحداً إلا صاحب المنزل الذي كان يحضر لها طعامها.. وحاولت أن تقاوم وتظل مستيقظة تتأمل ما حولها منصتة لأدنى صوت قد يصدر.. لكن سرعان ما تهاوت من الألم والتعب وغرقت في نوم أقرب إلى غيبوبة حتى أظلم المكان..

ورغم تعبها وتضعع عظامها، نهضت بي ناريا جالسة فور سماعها لصوت خارج الغرفة، وتلفتت حولها في الغرفة المظلمة.. عندها رأت الرجل ذو الجرح على خده يدلف إلى الغرفة وهو يقترب منها قائلاً "هل استيقظت؟ سنرحل الآن، قبل أن يبدأ حظر التجول المفروض على المدينة وتبدأ الدوريات بالانتشار" تساءلت مقطبة "هل سنسير في الشارع بدون تغطية؟"

قال وابتسامة سخرية ترسم على شفتيه "نسير؟ تقصدين أسير.. فكل ما عليك فعله هو الصمت التام حتى أخذك إلى الوكر وأفرغ من شأنك"

ثم رمى إليها بمعطف وقبعة، وقد ألصق في القبعة من الداخل شعراً متوسط الطول أشقر اللون.. ليبدو للناظر إليها أن لابس المعطف يملك شعراً أشقراً مقصوصاً بغير عناية.. كانت وسيلة ضعيفة للتغطية.. لكن بي ناريا لم تعلق وهي ترتدي المعطف رغم تفرزها إذ يبدو مستعملاً.. وأخفت شعرها سامحة للشعر المستعار بالظهور

بدلاً عنه..

أبدى الرجل استحسانه وهو يتقدم ويهمّ بحملها، لكنها دفعته بأقوى ما تستطيع قائلة من تحت أنفاسها الغاضبة "إياك أن تلمسني.."

فقال مقطباً "هل ستسيرين غير عابئة بما سيحدث لساقك المكسورة؟"

صاحت بغضب "سأفعل ذلك.. أعتني بعكاز وسأسير على ساقبي السليمة.. وإن كنت مستعجلاً حقاً فاتركني أذهب في شأني.. أستطيع تدبر أموري جيداً"

حملها غصباً وهو يقول "بودي ذلك.. لكنها الأوامر"

صاحت وهي تدفعه عنها "أنزلني أيها الوغد.."

قال بحدة وغضب "كُفّي عن هذا.. عليك تقدير الموقف الذي نحن فيه"

أجفلت لنظرة عينيه الغاضبة التي زادها جرح خده توحشاً بشكل أخافها، فأشاحت بوجهها كاتمة اعتراضها

وخوفها وهو يخرج بها من المنزل بعد أن أعطاه صاحبه إشارة الأمان.. كان الاستياء يغمرها ممزوجاً

بالغضب.. طوال عمرها، لم يجسر أحد في القصر، بخلاف والديها ومانيم المرشح ليكون زوجها، على لمس يدها

دون إذن.. لذلك كانت تشعر بالمهانة أن تتناولها الأيدي بهذه الطريقة وكأنها بضاعة وضيعة.. ورغم كسر

ساقها، لم تجد لهذا الرجل العذر لما يفعله بها، رغم أنها مدركة أنه لا يعرف هويتها الحقيقية.. ساورتها رغبة

بكشف شخصيتها أمامه لتستمتع برؤية زهوله وتواضعه أمامها، لكنها في ثانية واحدة تخلت عن هذه الفكرة

وهي واثقة في نفسها أن رجلاً كهذا لن يتواضع أمامها مهما كانت شخصيتها..

وجدت أنهما عبرا عدة طرقات مستترين في الظلام عن الأعين المتشككة للمارة الذين أخذوا يسرعون إلى

منازلهم قبل بدء حظر التجول الذي اقترب موعده..

وعندما وصلوا إلى زقاق خلفي مهجور تملؤه النفايات، اقترب الرجل من فتحة للمجاري في جانب المكان وأنزلها

أرضاً، ثم رفع غطاء المجاري بسهولة رغم ثقله تاركاً إياها في موضع قريب.. وقال لها "لا يمكنني حملك والنزول

عبر هذه الدرجات الرأسية في آن واحد وإلا سيدق عنقينا معاً.. تمسكي بي جيداً حتى نصل للأسفل.."

اعترضت بحدة "لا يمكن.. هذا ما لن أفعله أبداً"

لكن نظرة غاضبة من عينيه جعلتها تجفل ثم تشيح بوجهها بعيداً بصمت، فأولاهها ظهره سامحاً لها بالتعلق

برقبته بكلتا يديها.. وما إن فعلت حتى سارع للنزول على السلالم الحديدية داخل الفتحة دون أن ينسى إعادة

الغطاء إلى مكانه محيلاً المكان إلى ظلام دامس.. كان الارتفاع طويلاً جعل بي ناريا تتساءل بقلق "ألن نسقط

من هذا الارتفاع؟"

لم يجبها الرجل وهو يواصل الهبوط بشيء من البطء بسبب ثقلهما، وبي ناريا تشعر بالآلام في يديها لكونها

تحمل ثقلها بهما وهي تخشى السقوط وإيلام ساقها من جديد.. وبعد مدة طالت وجدت أنهما وصلا أرضاً،

عندها سمح لها بالتخلي عنه، وقال وهو يناولها القبعة التي سقطت من على رأسها أثناء الهبوط "بقيت مسافة

غير قصيرة حتى نصل.. أتريدان أن أحملك أم أنك تستطيعين تدبر أمرك هنا؟"

قالت على الفور دون أن تهتم بأمر القبة "سأندبر أمري طبعاً.."

غابت تقززها من المكان وهي تستند بيدها على الجدار وتحاول السير رغم الآلام التي اعترت ساقها المكسورة، ثم وجدت الرجل يضحك بصوت عالٍ وهو يعلق على مرآها "لا تقلقي.. لدينا كل الوقت فالجنود لن يبحثوا عنا هنا.. فلا داعي للاستعجال"

غالبها غيظ شديد وهي تدرك أنه يسخر من بطئها في السير، ثم وجدته يسرع في طريقه في الظلام وهو يقول "نحن بانتظارك.. لا تتأخري"

صاحت بحق "إلى أين تذهب وتتركني في هذا الظلام؟ ألا تملك ما تنير به المكان على الأقل؟"

لم تسمع منه إجابة وصوت خطواته يختفي.. فقالت بغيظ متزايد "الأحمق.. هل يظنني سأسرع خلفه مطيعة إلى مكان لا أعرفه؟"

حاولت السير في الاتجاه المعاكس، لكنها عجزت عن ذلك مما دفعها لتجلس أرضاً وهي تتأفف بضيق.. كان البرد في هذا المكان الذي لم تقترب منه أشعة الشمس الدافئة أكثر مما قد يتحملة جسدها، فضمت ثيابها إلى جسدها أكثر وهي تغمغم "أين معطفي الدافئ المصنوع من أفخر فراء في الكوكب كله؟ بل أين ذهب كل ذلك النعيم والثراء الذي كنت أرفل فيه؟ تبا لك يا مانيم.. سأديك أضعاف ما أدقنتني إياه في هذه الأيام.."

لم يمض وقت قصير، حتى سمعت صوت خطوات تقترب من حيث اختفى الرجل، فأشاحت بوجهها عالمة أنه لابد قد عاد قلقاً بعد تأخرها.. وعندما اقتربت الخطوات منها سمعت صوتاً مغايراً يقول "ها هي.. هارولان الأحمق قد تخطى عنها بكل إهمال"

ظلت تنظر إلى الرجلين اللذين اقتربا متوجسة، ووجدت أنهما يحملان محفة بدائية الصنع قرباًها منها وأحدهما يقول "لقد أحضرناها لننقلك بسرعة إلى الوكر.. فلا نريد إيذاء ساقك المكسورة أكثر من هذا"

لم تحتج بي ناريا لسؤالهما عن هويتهما، فقد أدركت دون جهد أنهما جاءا بأمر من الرجل ذو الجرح كما تسميه.. طاوعتهما صامته بالانتقال إلى المحفة، ثم وجدت أنهما رفعاهما بيسر وحثا السير وأحدهما يقول "المسافة ليست طويلة.. سرعان ما نصل وهناك ستجدين من يعتني بك"

تساءلت بحذر "إلى أين نحن ذاهبون؟"

أجابها رافعاً حاجبيه "إلى الوكر طبعاً.. ألم يخبرك هارولان بهذا؟"

تساءلت "أي وكر هذا؟ لا علم لي عن أي شيء"

قال بدهشة لغباءها "وكر الثوار طبعاً.. ظننت هذا مفهوماً"

ظلت في صدمة للحظات وهي تشك في ما سمعته، ثم غزاها الارتباك ودقات قلبها تتعالى وهي تنظر للأمور بنظرة جديدة.. الثوار؟ أهم ذاتهم من ثاروا على أبيها الملك مطالبين بالحكم الذاتي؟ أهم من أذاقوا ولاته الويل في الإقليم ولم يفلح أحد في كسر شوكتهم إلا مانيم؟ ما عرفته من مانيم إثر رحلته الأخيرة أنه قضى عليهم قضاء تاماً.. أكانوا يخدعونه ويخدعون الجميع مستترين منتظرين الفرصة للانفجار من جديد؟..

غلبتها قشعريرة وهي تتخيل ما قد يفعلونه بها لو علموا أنها الملكة بي ناريا ذاتها.. عندها لن يكون مانيم هو

الوحيد الذي يسعى خلف رأسها.. وستعود لدوامة الهرب من جديد..

ظل عقلها يعمل بسرعة محمومة لإيجاد منفذ لما قد تمر به وهي تراهم يتنقلون في شبكة المجاري الأرضية المعقدة بكل يسر.. ثم وجدت أنهم أصبحوا يسيرون في ممر أصغر وأقل قذارة وإن بدا عليه أنه صنع بشكل مرتجل وسريع.. وفي نهاية الممر الذي بدا لها طويلاً، دلفوا إلى غرفة صغيرة كالحلة المنظر ومنها إلى قاعة أكبر حجماً قليلاً وفيها عدد من الرجال وقليل من النساء كل منشغل بعمله.. وتناثرت كراسٍ قديمة المنظر في القاعة وعدد من الطاولات الخشبية الباهتة اللون عليها أوراق ومعدات مبعثرة بدون ترتيب..

ساد الصمت المكان والكل يتطلع إليها بفضول، بينما اتجه بها الرجلان إلى زاوية معينة في القاعة حيث يجلس رجل أكبر سناً بعض الشيء وقد بدا من تحلق الرجال حوله أنه رئيسهم.. وإن لم يبدو ذا أهمية ومنظره لا يختلف عنهم في شيء..

لم يقل الرجل كلمة وهو يشير لهما ليتبعاه، فسار بهم عبر القاعة إلى غرفة أخرى لا تقل عن غيرها في الإهمال وعدم الترتيب.. في جانبها سرير صغير مقارنة بما تعرفه عن الأسرة الفاخرة الشاسعة في القصر، فوضعها الرجلان بالمحفة على السرير، فيما جلس الرجل على كرسي قريب يتأملها وهو يشير للرجلين بالرحيل..

ظلت بي ناريا تنظر إليه بمزيج الضيق والتحدي.. كانت تحاول إثبات مكانتها وإشعارهم بعدائيتها منذ البداية، لتكسب نقطة واحدة لصالحها.. رسالتها واضحة، وهي "أنتم لا تستطيعون لمسي بسوء.. فلا تحاولوا ذلك أبداً.."

لم يغب هذا الأمر عن الرجل الذي بدا رئيسهم وهو يقول لها وشيء يشبه الابتسامة على شفثيه "لا داعي لكل هذا العداء البادي في عينيك.. لو كنا نرغب بأذيتك لما اضطررنا لإحضارك إلى هنا.."

لم تعلق أو تبدي حركة، فعاد يقول "من أنت بالضبط؟ ولماذا يجند مانيم كل هؤلاء الجنود للقبض عليك وإعادتك للقصر؟"

قالت بغير انفعال "وما الذي يجبرني على الإجابة على هذه الأسئلة؟"

قال بابتسامة "لقد ضحينا بالكثير لإنقاذك من الجنود.. خسرنا ذخيرة تعتبر الأغلى بعد حياة رفاقنا.. عرضنا أنفسنا للخطر، وعرضنا وكرنا للكشف بإحضارك إليه.. لذلك إن لم يكن لديك ما تستطيعين مقايضته بما تكلفناه لأجلك، فعلى الأقل استجابتك لنا هي أقل ما تستطيعين فعله"

قالت بتحدٍ "وإن كنت ناكرة للجميل ولا أهتم بما تبرعتم بدفعه دون طلب من أحد؟ لا أذكر أنني توسلت لك ولرجالك لإنقاذي.. بل لاستطعت إنقاذ نفسي دون التدخل من أحد.."

تنهد الرجل وهو يتأمل وجهها المتحدي، ثم قال "هل يكفيك أن نعرض حمايتنا ورعايتنا مقابل أجوبة من عندك؟ أعتقد أن رميك في المدينة مجدداً بهذه الساق المكسورة ليس بالأمان الذي تنشدينه.."

ظلت صامتة متشاعلة بتأمل الغرفة وهي تقلب الأمر في ذهنها.. لا يبدو أنهم تعرفوا فيها الملكة مع هذا التنكر، وربما لم يكن وجهها مألوفاً في هذه الأجواء، أو أن أمر هربها إلى هنا لم يصل إلى مسامعهم بعد.. لكن مع ذلك بقاؤها هنا فيه مخاطرة كبيرة لن تزول حتى تعود للقصر..

صمت الرجل احتراماً لصمتها، ثم وجدها تتساءل "لماذا أنتم مهتمون بأمرى لهذه الدرجة؟ ما الذي ستفعلونه لو أنني كنت فتاة لا أهمية لها؟ قد أكون مجرد لصة هربت ببعض كنوز القصر، أو قد أكون أهنت مانيم إهانة بالغة دفعته للبحث عني والانتقام.."

ضحك الرجل بقوة وهو يعلق "أتمرحين؟ ما تقولينه لا يمكن أن يكون صحيحاً.. ما يفعله الجنود في المدينة منذ يومين، والملصقات التي نُشرت، والمكافأة التي وضعت لأجل أقل معلومة عنك لا تدل على أن مانيم يحمل ضغينة شخصية تافهة تجاهك.. لا تستهزئي بي أكثر من هذا رجاء.."

قالت مقطبة "هذا لا يدل على ما قد يهكم في شيء.."

علق قائلاً "وما أدراك؟ كل ما يمكنني تأكيده أنك قادمة من العاصمة، ومن القصر بالتحديد.. سواءً أكنت من النبلاء أو وصيفة أو حتى عاملة في المطبخ أو الاسطبل، فإننا نعرف كيف يمكنك إفادتنا بشكل لا يقدر غيرك عليه.. لا يهمنا ما فعلته، ولن يكون هذا عقبة في رعايتنا وحمايتنا لك.. لكننا لسنا هيئة خيرية ولا نهوى حماية العامة خصوصاً ممن لا ينتمون إلى هيمانيا.."

لم تجادل في شيء وهي تدرك أن هذا بغير فائدة، فزمت شفيتها بتفكير وهو يضيف "حسناً.. لا أريد أن أبدو قاسياً بالضغط عليك بهذه الطريقة.. سأترك هذه الليلة لتفكري ملياً في الأمر.. أنت تحتاجين حمايتنا، ونحن نحتاج ما تملكينه من معلومات قد تفيدنا بأي شكل من الأشكال.. وغداً صباحاً سأسمع ردك على أسئلتني، سواءً بالرفض أو الإيجاب.."

وسألها وهو يقف "هل أنت جائعة؟"

هممت بالرفض بكبرياء عندما قال وهو يغادر "لا داعي للإجابة.. وجهك يفصح ذلك بدون كلام.."

قطبت بضيق وهي صامته، أل هذه الدرجة تردى بها الحال؟ صحيح أنها لم تذوق طعاماً يذكر وقد عافت نفسها أشكال الطعام الرديء الذي لا طعم له ولا رائحة ولا شكل مبهر كالذي تعودته منذ طفولتها.. كما أن الأواني الفذرة التي قدم فيها الطعام لم تكن مشجعة أبداً.. لكن هذا لا يعني أن يظهر جوعها بشكل جلي على وجهها.. دلفت في تلك اللحظة فتاة باسمه لا تصغرها بالكثير وهي تحمل عكازاً قائلة "مرحباً.. أنا سوبي.. هل تستطيعين السير باستخدام هذا العكاز؟"

نظرت إليها بي ناريا متسائلة، فقالت سوبي "يجب أن أنقلك إلى غرفة أخرى كي تحظي بقسط من الراحة.. هذه الغرفة قريبة من القاعة التي تضج بصراخ الرجال والمكان ليس بالنظافة التي قد تُرضي امرأة.."

حاولت بي ناريا النهوض باستخدام العكاز، وببطء سارت محاولة تقادي الضغط على ساقها المكسورة.. كانت خطواتها قصيرة بطيئة تتطلب جهداً كبيراً وقد رفضت معاونة سوبي لها.. وفي النهاية، بعد أن اجتازت ممرات أخرى وأبواباً كثيرة والدهشة تملؤها لوجود هذه المساحة الكبيرة كمخبأ تحت الأرض، وصلت إلى غرفة متوسطة الحجم أكثر ترتيباً وإن كانت تبدو لعينها لا تختلف في قدارتها عن أي مكان آخر..

جلست بعد جهد على أحد السريرين الموجودين في الغرفة وسوبي تقول لها "لن يزعجك أحد هنا.. وسأعمل على توفير كل مساعدة تحتاجين لها هذه الليلة.. سأتيك بعد قليل بالطعام.."

وخرجت دون أن تعلق بي ناريا على قولها بغير اهتمام واضح.. وقرب الباب، رأتها بي ناريا تحدث الرجل ذو الجرح والذي يبدو أن اسمه هارولان.. لم تخطيء النظرة التي ألقتها عليها والتي بدت لها ساخرة، لكن لدهشتها، لم يلق عليها تعليقاً سخيلاً هائلاً من تعليقاته التي لا هدف لها إلا إثارة ضيقها، بل ابتعد مع سوبي ليسود الهدوء المكان.. ففكرت عاصدة شفتها السفلى، هل تشكوه إلى رئيسه غداً كنوع من الانتقام، وهو أقل ما يستحقه؟ أم تتجاهله وكأنه لم يكن؟.. كان هذا أوقع رجل عرفته، حتى بعد أن أصبحت هاربة بلا منصب ولا هيبة، فلم يعاملها أي رجل بهذه الوقاحة والسخرية..

تنهدت وهي تستلقي في سريرها وتغمض عينيها محاولة أخذ قسط من الراحة وإن منعها عقلها من هذا وهي تبحث عن طريقة لتنفيذ بجلدها من غضب الثوار الذي تتوقعه.. ولما اتخذت قرارها، فإنها غرقت في النوم العميق فوراً وقد ارتاح عقلها من دوامة أفكاره..

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي، وهو ما قدرته بي ناريا بالنظر إلى ساعة معلقة في الجدار، فالنور لا يتسلل إلى أي مكان في هذا المخبأ، اجتمع بها رئيس الثوار في الغرفة الأولى.. كان المكان صامتاً كالقبر، مما دفعها للتساؤل بتشكك "أين الجميع؟"

ابتسم الرئيس مجيباً "الجميع نيام كالأموات بعد سهر البارحة.. فالثوار كالثعالب، تنام نهاراً وتنشط ليلاً ولا يمكن خداعها.."

كان هذا تلميحاً لها بعدم الكذب، لكنها لم تخف من هذا وهي تقول له "أنت أردت معرفة هويتي وسبب ملاحقة مانيم لي.. لكن ما الذي يضمن لي وفاءك بوعدك وحمايتي؟ قد تقطع عنقي فور أن تحصل على ما تريد من معلومات"

قال على الفور "لا أملك ضماناً إلا كلمتي.. إن كنت ذا عون لنا، فنحن لن نوذي من يسدي لنا خدمة أبداً.."

ظلت صامتة بضيق، ثم قالت بتردد "حسناً.. يبدو أنني لا أجد وسيلة أفضل من تجربة وعودكم.."

ابتسم لها الرئيس صامتاً، فقالت بعد تنهيدة قصيرة "أنا في الواقع كنت أعمل في القصر كوصيفة للملكة الأم ذاتها، واسمي جوين.. لقد حاولت تهريب الملكة بي ناريا، بأمر من الملكة الأم.. وعندما فشلت الخطة وكشف أمري سارعت بالهرب من القصر.. لقد قتل مانيم كل من تعاون في هذه العملية وقررت أنا بصعوبة.."

تسائل الرئيس "وأين بي ناريا الآن؟"

لاحظت بضيق أنه لم يلقبها بالملكة أو أي لقب آخر، لكنها قالت بغير أن تظهر ذلك "لا زالت في القصر.. تحت قبضة مانيم"

عاد يتساءل "وما الذي يدفعه لملاحقتك بهذا الشكل حتى هيمانيا؟"

قالت بابتسامة جانبية "كي لا أعاد المحاولة مرة أخرى.. إنه يخشى أن تهرب بي ناريا بأي طريقة.. ويخشى



من تهديدها لعرشه الزائف..”

ظل الرئيس يفكر وهي صامته بانتظار رده، ولما طال صمته تساءلت “لقد علمت كل شيء عني، فما المساعدة التي تتوقعها مني؟ بم يمكن أن أفيدكم؟”

قال الرئيس وهو يقف “هناك مرحلة جديدة نعتزم الدخول فيها.. ونحتاج لكل من يعرف ولو أمراً بسيطاً عن العاصمة والقصر.. أي شيء قد يفيدنا”

قالت بحذر “هل تعتزمون الذهاب إلى العاصمة؟”

ابتسم وهو يقول “أجل.. ألم أقل لك إنها مرحلة جديدة؟”

صمتت وهي تراه يبحث في الغرفة صامتاً، ثم رأته يحضر أوراقاً تحمل رسماً للعاصمة يناساً التي تملك تخطيطاً مميزاً لا يمكن أن تخطئه العين.. فقال لها “هل أنت مستعدة لمعاونتنا؟ نحن نضمن لك الحماية، ونضمن أن نخلصك من مشاكلك بشكل أبدي..”

نظرت إليه بتشكك متسائلة “وكيف تستطيعون ذلك؟”

اتسعت ابتسامته مجيباً “سنسقط مانيم.. طبعاً..”

دهشت لإجابته الواثقة جداً، ورغم أن هدفهم هذا يصبّ في صالحها، إلا أنها سألت السؤال الذي كانت تود معرفته منذ الأزل “ما الذي بينكم وبين ملك المملكة عموماً ومانيم خصوصاً؟ قاربت ثورتكم على إكمال عقد كامل دون نجاح يذكر إلا في زيادة بؤس الإقليم، فلماذا لا تستسلمون وترضون بالانضواء في حكم المملكة كبقية الأقاليم؟”

رغم هدوء الرئيس إلا أن عينيه التمعتا ببغض وهو يقول بصرامة “نستسلم؟ هل لديك أي علم بما يحدث في هيمانيا منذ عقد كامل؟”

لم تجبه وهي تستمع له بفضول وهو يضيف “هيمانيا إقليم صحراوي.. يعيش سكانه حياة قاسية وأجواءً صعبة، لكن كل هذه كانت مصاعب يمكن تخطيها بوجود الكميات الهائلة من البلور المدفونة تحت الرمال.. لقد تم اكتشاف العديد من المناجم في بعض المناطق الصخرية من الإقليم، وكما يقول الخبراء فإن ما بقي تحت الأرض أضعاف ما تم اكتشافه.. ألا تعلمين أي راحة ورغد يمكن أن يتمتع بهما شعبنا من استثمار هذه المناجم؟”

قالت بي ناريا بتعجب “أعلم هذا بالطبع.. الكل يعلمه.. لكن هل تطمحون للاستيلاء على المناجم كلها لكم والانفصال بسببها عن المملكة؟ ألا توفر لكم المملكة الأمان وتساعدكم على التطور مقابل جزء يسير من موارد المناجم؟”

ضحك الرئيس بشيء من الهزء قائلاً “بالفعل.. المملكة لا تطالب الإقليم إلا بجزء يسير من موارد المناجم، لكن ما تبقى منها يصبّ كله في جيب الوالي وحاشيته.. ومع قدوم مانيم، أصبح هناك جيب جديد جشع استهلك كل ما تبقى من استثمارات المناجم تاركاً الشعب بفقره وجوعه.. ألا يكفي شظف عيشنا ليزيدنا جشع ولاتنا بؤساً؟”

قالت بي ناريا مقطبة “ولماذا لم تلجأوا للشكوى لدى الملك الراحل؟ أنت تعلم أنه رجل عادل ما كان ليرضى بظلم

كهذا؟

ابتسم الرئيس قائلاً "وماذا تعتقدين أننا كنا نطمح إليه بثوراتنا هذه؟ نريد من يسمعنا.. من يحاول إنقاذ شعبنا.. لقد أرسلت جميع العشائر في هيمانيا رُسُلاً إلى الملك منذ زمن طويل، لكن الولاة على اختلافهم كانوا يعترضون وصولنا إلى الملك وإلى يناسًا ذاتها بمعاونة رفاقهم فيها وبرشاوي ضخمة من خيرات هيمانيا.. ولما فاض الكيل بنا بدأنا هذه الثورة لعلها تجذب لنا الأبصار والآذان.. لكن الملك السابق، كما بي ناريا، تعامل عن كل هذا وهو يعالج مشاكلنا بمشكلة أكبر.. مانيم، الذي فور وصوله للإقليم، بدأ حملات واسعة من القتل والتشريد والتنكيل، ناهيك عن السرقات التي تتم في وضح النهار وبثقة شديدة.. فهل تظنين بعد كل هذا أن ثورتنا لا داعي لها؟"

صمتت بي ناريا مقطبة وهي تفكر في حال هذا الإقليم والرئيس يضيف وهو يقف "نحن ماضون في أمرنا، بمساعدتك أو بدونها، لكن نرجو ألا تكوني ممن أغمضوا عيونهم وصكّوا آذانهم عن صرخات شعب هيمانيا.." أدركت أنه ينهي حوارهم معها، فاستدارت بشيء من المشقة عائدة إلى غرفتها.. لقد أدركت أشياء كثيرة كانت غافلة عنها.. ورغم ضيقها بما وصفه أبيها وهي معه، لكنها عرفت أي طريق ستختار، وأي قرار سيقودها مباشرة إلى عرشها السابق..

\*\*\*\*\*

تعالى صراخ مرددين في إحدى الغرف في القصر وهو يصيح في جهاز الاتصال "أفلتت؟ كيف يمكنها أن تفلت من كتيبة كاملة من الجنود؟"

أجاب الطرف الآخر الذي لم يكن إلا والي على هيمانيا "لست أعرف التفاصيل.. أرسلت ثلاث مركبات لإحضارها من وسط المدينة، ولما انقطع الإرسال بيننا وبينهم أرسلت فرقة أخرى لاستطلاع الأمر، فوجدوا المركبات الثلاث قد تحطمت والجنود فيها قتلى.. ونحن نبحث عنها في المدينة منذ يومين.."

صرخ مرددين "يومان؟ لماذا لم تبلغني بأمرها على الفور؟"

قال والي "لم أرغب بإبلاغك إلا بالأخبار السارة.. لكنني متشكك في ما حدث.. هناك من تدخل وعاون الفتاة على الهرب.. لا أعتقد أنها وحدها تقدر على فعل هذا.."

قال مرددين بغضب "معاونة ممن؟ إنها غريبة في المدينة بلا أقارب أو أعوان.. كيف استطاعت الهرب من جنود الأغبياء هؤلاء؟"

قال والي "أرجح أنها لقيت معاونة من بقايا الثوار.. نحن نعلم أنهم لا يزالون موجودين في المدينة رغم أننا لم نستطع الإمساك بهم.. ومادامت تحظى باهتمام من العاصمة فبالتأكيد سيسعون للاستفادة منها في النيل منا.."

زفر مرددين بضيق والوالي يتساءل "ما الذي سنفعله الآن؟"

صاح مردين بغضب "نفعله؟ تقصد ما الذي ستفعله أنت بعد فشلك الذريع هذا.. الآن، أريدك أن تبذل جهداً أكبر في البحث عنها.. نقّبوا تحت كل صخرة وخلف كل شجرة في تلك المدينة البائسة.. لا أريد أن تأتني بخبر سخيّف آخر بعدم قدرتك على إيجادها.."

وأنهى الاتصال بعنف وهو يستدير مغادراً الغرفة بخطوات غاضبة.. وما إن غادرها حتى كاد يصطدم بالمستشار الذي تنحّى من طريقه بصمت، فسأله مردين بتشكك "ما الذي جاء بك إلى هذا المكان أيها المستشار؟"

قال المستشار بهدوء "أرسلني الملك للاتصال بوالدي سيرالدا في موضوع مهم.."  
تنحّى مردين من طريق المستشار وهو يحده بنظرات متشككة وكأنه يودّ لو يصرخ في وجهه "أنت كنت تتنصت أيها الوغد.."

لكن المستشار لم يظهر ارتباكاً أو اهتماماً بما يدور في المكان وهو ينطلق لأداء عمله، بينما غادر مردين وهو يغمغم في سريره "يجب إقصاؤك من هذا القصر.. فما أنت إلا سوسة تنخر في أمننا في المدينة.. يجب أن يتخذ مانيم إجراءً حازماً بشأنك أيها العجوز.."

\*\*\*\*\*

أشارت بي ناريا إلى الخارطة الخاصة بيناساً قائلة "يناساً لها عشرة أبواب.. كل باب تحرسه فرقة من الجنود تتراوح بين العشرة والعشرون.. والدخول إليها سهل لو مررنا من أمامهم دون أن نثير الشكوك.. المدينة مقسمة إلى عدة أحياء كبيرة، وكلما اقتربنا من الوسط كلما ازداد سكانها غنىً، وازدادت الدوريات في الشوارع التي تبقى ساهرة حارسة سكان وأمن يناساً.."

وتناولت مخططاً آخر مرسوم بغير ترتيب للقصر الملكي وهي تضيف "القصر يقع وسط المدينة، على ربوة عالية، وله خمسة أبواب منها واحد رئيسي.. والبقية تؤدي لمرافق القصر المختلفة.. لا أستطيع الجزم كم من الجنود يحرسون كل باب، لكن يمكن القول إنهم بين الخمسة والعشرة جنود.. وكل باب....."  
قاطعها صوت بسخرية "يمكن القول...؟!"

نظرت إلى هارولان بحلق دون أن تعلق.. كان الرئيس يجتمع بها مع جماعة محدودة من الثوار، ولسوء حظها كان هارولان من بينهم.. أكملت وهي تتجاهل تعليقه "كل باب مجهز ليؤدي مهاماً معينة، وسأشرح هذه المهام بالتفصيل لتمكنوا من اختيار الأنسب للتسلل إلى القصر.."

ثم أضافت بضع خطوط في التصميم وهي تقول "الممرات ينتشر فيها أيضاً عدد غير محدد من الجنود.. هذه قاعة الحكم وفيها ما يقارب العشرة جنود، ولا يمكن الدخول إليها إلا بإذن حتى بالنسبة للعاملين في القصر.. وقربها غرفة المستشار الخاصة بأعماله.. هناك عدد كبير من الأجنحة في القصر.. وهذا هو الجناح الملكي الذي أعتقد أن مانيم قد أقام فيه بعد توليه العرش.."

سمعت هارولان يعلق "تعتقدين؟ أأست متأكدة من شيء أبداً؟.."

صاحت بغيظ "ما الأمر؟ هل تهوى التعليق على كل شيء بسخرية؟"

قال الرئيس "صمتاً يا هارولان.."

قال هارولان معترضاً "لكنها لا تمنحنا معلومات حقيقية.. كل ما أدلت به معلومات غير مؤكدة ولا تفيدنا في شيء.."

قال الرئيس "مهما يكن، لا داعي للمقاطعة.."

صمت هارولان تماماً وبي ناريا تعود لتشرح باقي أجزاء القصر وأركانه.. رغم أنها تحفظ أجزاء القصر بشكل تام، ورغم أنها أشرفت بنفسها على توزيعات الجنود في القصر وترتيب مهامهم مع قائد الجند، لكن الإدلاء بمعلومات دقيقة لأبد سيثير شكاً في شخصيتها.. ليس من الطبيعي أن تلم وصيفة بكل أمور القصر إماماً تاماً.. كما أنها لم ترغب في إلقاء جميع ما تملك من معلومات دفعة واحدة كي لا تنتفي حاجتهم لها ومن ثم يتخلون عنها.. كانت تريد أن تمضي في مخططها معهم بخطى مدروسة لتحصد النتائج التي تطمح إليها.. في اليوم التالي، أوكل لها الرئيس إعادة رسم مخطط القصر بدقة أكبر، فانكبت على الأوراق أمامها في القاعة وحيدة وهي تحاول رسم القصر من منظور الوصيفة.. لم تبح لهم بأمر الممرات السرية التي لأبد ستقلب الأمور تماماً، وسترجح كفة الثوار بقوة خاصة وأن مانيم كما يبدو لا يعلم عنها شيئاً.. فضلت أن تكون هذه هي ورقتها الأخيرة، ويجب أن تحسن اللعب بها..

دلفت إحدى الفتيات الى القاعة حاملة بعض الأوراق وضعتها جانباً وتلفتت حولها، ثم سألت "أين الرئيس؟" أجابت بي ناريا باقتضاب "لا أعلم.."

سمعتا في تلك اللحظة أصواتاً قادمة من الممر المؤدي إلى الخارج، ولم يلبث رجلان أن دخلا إلى القاعة يتبعهما هارولان.. لاحظت بي ناريا انفراجاً في أسارير الفتاة على الفور وهي ترمق هارولان قبل أن تعترض طريقه وتندمج معه في حوار خافت بينما غادر الرجلان.. وبعد لحظات غادرت الفتاة بدورها ووجهها يشع سروراً بينما تأففت بي ناريا وهي تغغم في سريرتها "يا لتفاهة هاته الفتيات.."

لاحظ هارولان تأففها فعلق "هل تتجزين رسماً للقصر الملكي؟"

لم تعلق بي ناريا وهي مستمرة في عملها، فأضاف "أرجو أن يكون رسمك متقناً، فلسنا بحاجة لأي معلومات تقريبية.."

لعب الحنق برأسها فقالت غاضبة "ما الذي تريده مني بالضبط؟ هل تظنني كنت رئيساً للحرس الملكي أم مستشاراً للملك؟ أي معلومات تعتقد أن مجرد وصيفة في القصر قد تلم بها؟"

قال وهو ينحني تجاهها "معلومات تكفي لتبرير المخاطرة التي بذلناها لأجلك.."

قالت بهزة "لا أذكر أنني توسلت لكم لذلك.."

لم يعلق على هذا وهو يقول "اسمعي.. أنت تظنين أننا حمقى.. لكنني أعلم أنك تخفين الكثير.. في عقلك ما يكفي من المعلومات لتيسير الكثير من أمورنا.. لكنك لا تفصحين عنها بالقدر الكافي.."

قالت مخفية قلقها "أنت تهذي.."

فقال "بالعكس.. أنا أجيد قراءة العيون.. وعيناك تفصحان الكثير.."

أشاحت بوجهها بعيداً لتسمعه يضحك ويقول "ابذلي جهداً أكبر في المرة القادمة.."

وغادر تاركاً إياها ترتجف غيظاً وقلقاً.. هذا الرجل يثير أعصابها.. هي متأكدة أنه لا يعرف شيئاً عنها ويكتفي

بالقاء الأحجار جزافاً باحثاً عن ثغرة، لكنها تخشى هذا.. تمنّت لو يفلح جنود مانيم بالقبض عليه لينزاح عن

طريقها في هذه الفترة، رغم قسوة هذه الفكرة.. كانت كل أمورها مع الثوار تسير بسلاسة تامة، ولا يفسدها

إلا وجوده الذي تبغضه بشدة..

\*\*\*\*\*